

وَتَجْمَعُ دَعْوَتِي آثَارَ قَوْمِي هُمُ الْأَسَدُ الْخَوَادِرُ تَحْتِ غَابِ
وُلَاةُ الْعِزِّ وَالشَّرَفِ الْمَعْلَى يَرُدُّونَ الْفُضُولَ عَلَى الْمُصَابِ

هؤلاء هم قومه ، وهذا هو في قومه ، وهذا هو العقل عنده وعند قومه ،
وهذه هي النزعة الإنسانية التي تحنو على الوجود ، وتقابل النكران بالحدود ،
وتنبت من للشر خيراً ، ومن الغضب برأ ، وتسرع إلى الرحمة من غير ما سرعة
إلى العتاب والعقاب ، وترد الضال عن غيه ، وتلم الشعث ، ولا تطلب من عمل
خير عمله إلا أن ينتفع الناس ويعرفوا الجميل ؛ وإذا دعت الحال إلى الحرب ،
كانت تلك النزعة صدوراً متأهبة للقتال في بأس شديد، وسخاء في التفاني عجيب.

مشهد جديد من مشاهد الفخر دعت إليه الحضارة الجديدة والمجتمع
الجديد ، وكم في هذا الفخر من تعقل ورياسة وجودة تفكير !
وأما أصل بشار فهو بعيد عن كل أصل عربي ، وهو بعيد عن عادات
العرب . وهنا تظهر النزعة الشعبية عند بشار بأجلى مظاهرها . فاسمعه يقول .

هَلْ مِنْ رُسُولٍ مُخْبِرٍ عَنِّي جَمِيعَ الْعَرَبِ
بَأَنِّي ذُو حَسَبٍ عَالٍ عَلَى ذِي الْحَسَبِ
جَدِّي الَّذِي أَسْمُو بِهِ كَسْرِي وَسَاسَانِ أَبِي

إن في هذه القصيدة استعلاء شديداً على العرب ومفاخرة بالفرس والروم .
وهذا شيء جديد في تاريخ الفخر العربي . وإننا إذا أنعمنا النظر في القصيدة
تجلت لنا الحضارة الفارسية في أبهتها ورونقها ، وذكرنا الحروب الفارسية
وانتصارات الأكاسرة ، ووقفنا أمام الشاعر متتبعين لأحداث التاريخ ، ذاكرين
أثر الفرس في الانقلاب العباسي ، وكيف كان ذلك شرارة ألهمت النار الشعبية